حركة التحرير الوطني
الفلسطيني
(فتح)

النقد والأمن الثوري

(11)

دراسات تنظيمية

النقد والأمن الثوري

مفهوم الامن الثوري:

اثناء زيارة لمدرسة حرب العصابات في كوبا، سأل احد القادة الفلسطينيين المسؤول عن تدريب الامن في الكلية، عن الاسلوب الذي تتبعه الحكومة لتحقيق الامن. ولم يكن الرد معقدا، فقد أوضح خبير الامن الكوبي ببساطة، ان هنالك اسلوبين للامن، تعتمد كل منهما على نظرية خاصة.. قد تتداخلان معا بدرجات متفاوتة.

الا سلوب الأول: ويعتمد على الامكانيات المادية، ويستخدم ارقى الوسائل التقدمية والاجهزة المتطورة، كما يقوم باعداد الخبراء المتخصصين، ويشتري الذمم، ويوقع مصادر المعلومات تحت الضوابط، وهو بذلك يكرس نظرية الامن المادية. وهذا الاسلوب تمارسه بصورة مطلقة الدول الكبرى، خصوصا الدول الرأسمالية الاستعمارية.

اما الاسلوب الآخر: فهو يعتمد على نظرية الامن المعنوي، وهي تطابق مفهوم الامن الثوري، حيث ان ادواتها الفاعلة، هي الثورة بكوادرها وتنظيمها وجماهيرها الواعية. وتتناسب فعاليتها مع صلابة التنظيم ومتانة الروابط النضالية بين اعضائه. والدافع الاساسي للامن، وقائيا كان أو أيجابيا، هو الالتزام التام بالخط الثوري، وليس الكسب المادي أو الوقوع تحت أي ضغط اجتماعي أو نفسي. وهذا الاسلوب هو المناسب للثورة، في مراحل نضالها المسلح. وهو أيضا الاسلوب الانجح، مع تطويره علميا، عند انتصار الثورة وانشاء سلطتها الثورية وانتقالها لخوض الثورات الاجتماعية والثقافية.

ومفهوم الامن الثوري هو الذي يجعل من الثورة هرما متراصا متماسكا، قادرا على مواجهة كل الصعوبات من جهة، وقادرا على الفعل الثوري وتحقيق الانتصارات الدائمة من جهة اخرى. وعندما تكون الدوافع الثورية الاصيلة، وهي الايمان بحتمية النصر والاستعداد للتضحية في سبيل الوطن، هي الدافع للقيام بالواجب، تصبح الممارسة الفعلية لمواجهة المهام الصعبة، هي المحك الحقيقي لا صالة الا لتزام الثوري، ويصبح من الصعب على اعداء الثورة الوصول الى اهدافهم في التسلل الى صفوفها واختراق مراتبها التنظيمية المسؤولة. اما اذا كان الدافع للقيام بالواجب ماديا، فان الثورة اعجز من ان تجاري وتباري اعداءها في الانفاق الباهظ وتأمين الاغراءات، التي لا يستطيع مقاومتها الا الثوري الواعي الملتزم.

تتحكم في الامن الثوري نفس المفاهيم الاساسية، التي تتحكم في الثورة، وتخضع بذلك نظرية الامن الثوري الى المعطيات النظرية والعملية، التي تفرضها النظرية الثورية لتغيير الواقع الفاسد.وتشكل الثورة حالة امنية متكاملة، تتداخل فيها المهمات الوقائية والايجابية، لتحقيق الهدف الاساسي، وهو تحرير الارض، وتحقيق امن الوطن والمواطنين، وتحريرهم من التشرد والاستغلال. ان حالة ضياع الامن الوطني والحرية الوطنية، هي التي تدفع الطلائع الثورية للتصدي للقوى، التي تسلب المواطنين حريتهم وارضهم وعزتهم وحقهم الشرعي في العيش بسلام. وعمليات الامن الثوري تبدأ مع بداية التفكير بالثورة، وتتبلور مع تبلور النظرية الثورية، التي تحدد الهدف بوضوح، ثم تحدد الاسلوب لتحقيق الهدف على أساس التحليل العلمي للواقع. وبانطلاقة الثورة، تبدأ العملية الامنية ميكانيكيا، وتصبح الخطوات الاساسية للثورة هي خطوات الامن الثوري.

ان الدوافع، التي تجعل الطلائع الثورية تتصدى للواقع الفاسد وتسعى لتغييره متحملة كل

المصاعب ومستعدة لتحمل اقسى الظروف وتقديم كل التضحيات، تنطلق من الشعور الوطني بضرورة التغير أولا، ثم من ايمانها المطلق بحتمية انتصار الثورة. والثورة لا تناضل في فراغ. لها اصدقاء ولها اعداء. ولاعدائها اصدقاء. وهنالك من يقفون معها تارة وفي الحياد تارة اخرى، وقد يقفون الى جانب اعدائها، اذا اقتضت مصلحتهم ذلك. هذه المعادلة توضح اطراف الصراع.

الثورة تريد تحقيق اهدافها، تريد منع العدو من تحقيق اهدافه. والعدو يريد تحقيق اهدافه، بمنع الثورة من تحقيق اهدافها. وكل خطوة للعدو، نحو تحقيق اهدافه، تقابلها خطوة من جانب الثورة لمنعه أو لتعطيله. قد تنجح خطوات الثورة، وقد تفشل، ولكنها تعمل، ويجب ان تظل مستمرة في العمل. وكل خطوة من جانب الثورة لتحقيق اهدافها، تقابلها خطوة من جانب العدو لمنعها أو لتعطيلها. وقد تنجح خطوة الثورة وقد ينجح العدو في تعطيلها. والثورة قد تفشل مرارا، ولكنها تتعلم من الفشل وتستمر. والعدو كمؤسسة استعمارية لا يتحمل تكرار الفشل، ولذلك فهو يعطي كافة جهوده لمنع الثورة من تحقيق أي نجاح. ان أول ما يحدد امكانيات النجاح للثورة، هو صحة النظرية الثورية. هذه أولى الركائز لمسيرة الثورة. والنظرية الصحيحة تفرز حتما نظرية امنية صحيحة.

والخطوة الأولى للثورة تبدأ بالاستقصاء والدراسة، يعني المعرفة، وهذه أولى عمليات الامن بدقة: جمع المعلومات عن العدو وتحركاته، في الزمان والمكان، نقاط الضعف والقوة، عنده وكيف يمكن انهاؤه.. وبأية قوى.. ومن أين ومتى يجب ان تبدأ عملية الامن الهجومية.

ان عملية انطلاق الثورة المسلحة في أي مكان، لا تكون نتيجة لردة فعل. ان قيمتها تنبع، من انها فعل في الواقع الفاسد بكل مكوناته، ولذلك فهي لا تتبلور وتتحول الى قوة ميكانيكية الا بعد تفهم الواقع تفهما كاملا، والا بعد ان تحدد الادوات الحقيقية القادرة على تغيير الواقع. فخطوة الاستقصاء والدراسة، التي هي أولى الخطوات الاساسية للثورة، هي أولى الخطوات في عمل الامن الثوري. وتقتضي هذه الخطوة ثوريا وامنيا نفس المقتضى. فهي تحدد المنهج الثوري في تقييم الواقع بكل معطياته الايجابية والسلبية لصالح القوى أو ضدها.

الحرب عملية صراع بين قوى الخير وقوى الشر. والذي يحقق الانتصار، هو الاقدر على معرفة قوته وقوة الخصم. ولذلك كانت، ومنذ وجد الصراع على الارض، معرفة العدو هي أولى مهمات الثورة. وهذه المعرفة هي عملية امنية تتطلب دراسة واستقصاء واقع العدو البشري والاقتصادي والعسكري والنفسي، وطبيعة التناقضات بين فئاته ومؤسساته، واستخلاص نقاط ضعف العدو. ان الثورة المسلحة، خاصة ثورات التحرر الوطني التي تجابه قوى استعمارية استيطانية متفوقة تكنولوجيا وماديا وتدريبا.. تستخدم اسلوب حرب العصابات، التي هي في الواقع عمليات امن هجومي محدودة، تستهدف دائما نقاط ضعف العدو، وتحاول ان تتمتع بمبادىء الحرب الاساسية، المباغتة، والمفاجأة، والاقتصاد بالقوى.. الخ.. وهذا لا يتحقق الا بالمعرفة الكاملة عن العدو.

ان معرفة العدو وحده لا تكفي، ولكن المهم ان تعرف الثورة وتحدد قواها تحديدا صحيحا، دون اغراق في المبالغة، وخداع النفس.

ان قوة الثورة الحقيقية تنبع دائما من انها تمثل خط الجماهير وطموحهم، ولذلك فان قدرتها الحقيقية تنبع من قدرتها على استيعاب الجماهير معها وحولها. ويتطلب منها ذلك ان تكون الادوات الثورية طليعة حقة، وقادرة على تحقيق الاتصال بالجماهير، وخلق أمتن الروابط بين الجماهير والثورة من خلال تعميق مفهوم الوعي الثوري عند الجماهير عن طريق الطلائع المنتقاة من ابناء الشعب.

ان عملية الاستقصاء الذاتي ومعطياتها، هي التي تبلور النواة الثورية، وتجعل الالتفاف حولها ونموها يتم بصورة ايجابية وسليمة. وصراع العدو المحتل يحتاج الى القوة ومعرفة استخدامها كيف ومتى

وأين. وهذا يتطلب ان تتم عملية الاستقصاء بحرص وفاعلية، سواء أكان الهدف استقصاء الافراد وربطهم بالثورة، أو تحديد مكانهم في معادلة الصراع. أو اذا كان المستقصى عنه منظمات جماهيرية أو سياسية أو نقابية. أو اذا كان الهدف هو معرفة ارض الصراع، وكيف يجب ان يكون الثائر الحقيقي على معرفة كاملة بكافة المناطق والاماكن، التي تتطلب عملية النضال ان يتواجد فيها.

ان اهمية الاستقصاء ومدى فاعليته كخطوة أولى من خطوات الثورة، تكمن في انها الخطوة، التي ستفرز من الجماهير افرادا يتسلمون مسؤولية ثورية الى جانب الطلائع. واذا اختارت الطلائع رفاقها في النضال عفويا، أو على اسس وروابط غير ثورية، فان الثورة تكون قد حملت بذور فشلها. ويكون من ادعوا انهم طلائع، ليسوا بطلائع وانما بثوريين متهورين. ان المبدأ الاساسي في الانتقاء المبني اصلا على الاستقصاء يحدد، بان على المناضل ألا يختار لتحمل أعباء النضال معه.. إلا من يثق بأنه قادر ان يحل محله. ان نظرية البديل هي التي تجعل الانتقاء صعبا والاستقصاء حريصا، والنتيجة ايجابية.

ان النمو الثوري حول الطلائع الثورية، لا يتم نتيجة التفاف عفوي أو شخصي، وانما هو التفاف وارتباط بالنظرية الثورية، التي تطرحها الطلائع، والتي تحدد اهداف الثورة ومنطلقاتها ومبادءها وأسلوبها. ان النظرية الثورية هي التي تربط الثوريين بعضهم ببعض، وهي التي تجذب من الجماهير للثورة اقدر الافراد وعيا واستعدادا للتضحية وايمانا بحتمية النصر. وخطوة الاستقصاء والدراسة تتداخل مع الخطوة الاساسية الثانية للثورة وهي التوعية والتوجيه المعنوي الذي يطرح للجماهير، وبصراحة، نظرية الثورة في العمل من اجل الجماهير. وذلك من اجل الانتقال الى الخطوة الاساسية الثالثة للثورة، وهي اهم خطوات انتقاء الاعضاء المؤمنين وربطهم وخلق التنظيم الثوري القادر على مواجهة القوة المعادية وتحقيق اهداف الثورة والجماهير.

وبناء التنظيم وتدريبه وتسليحه يتم من اجل الخطوة الاكثر اهمية وفاعلية في الصراع وهي الكفاح المسلح. وعندما يتحول التنظيم بثقله الثوري السياسي الفاعل الى توجيه نيران بنادقه الى رؤوس التناقض الرئيسي والاساسي، فان عملية الحسم الحقيقية تكون قد أخذت طريقها الصحيح. والثورة عندما تطلق رصاصتها الأولى تستنفر كل اعدائها بصورة جنونية، وتصبح خطواتها محسوبة وتحركاتها مدروسة ومرصودة من قبل العدو، ويصبح المسلك الخاطىء للافراد نقاط ضعف ينفذ منها الاعداء، الذين همهم افشال الحركة الثورية. ان عملية ضبط كل المسلكيات التخريبية وتأكيد وتعميق مفهوم المسكلية الثورية للمسيرة النضالية، هو الذي يؤمن للحركة درعها الحصين وقائيا، وهو الذي يعطيها الفعالية والانجاز الايجابي.

ان دور النقد والنقد الذاتي في محاربة المسلكيات الخاطئة وغير المسؤولة هو ضمانة اكيدة لتحقيق الحماية الداخلية لحياة الحركة الثورية، ان دور النقد والنقد الذاتي في تأكيد المسلكية الثورية في كافة المجالات هو ضمانة لتصعيد قدرات الحركة الثورية على مواجهة مهامها النضالية وانجازها بفعالية قصوى، الى جانب ان المسلكية الثورية هي التي تعري باستمرار كل المسلكيات الخاطئة داخل الحركة.

ان تعميق مفهوم النقد والنقد الذاتي عند اعضاء التنظيم الثوري، يجعل العضو متحفزا بصورة دائمة لاكتشاف الاخطاء ومحاربتها، وكما يجعله يشعر انه دائما امام اعين المناضلين، الذين يحصون عليه كل تحرك خاطىء. وعندما يصبح للتنظيم الثوري اعينا يقظة تدرأ عن الحركة الثورية كل الاخطار الناتجة عن المسلكيات الخاطئة، سواء داخل الاطر التنظيمية أو خارجها، سواء في المهمات الوقائية أو المهمات الايجابية، فان مفهوم الامن الثوري يكون قد تحقق، ويكون النقد والنقد الذاتي قد اعطى للامن دفعة الصدق في تحسس الواقع واستقصائه.

ان اخطاء الحركة الثورية وعيوبها، هي عمليا نقاط ضعف فيها. وبما ان مهمة الامن الثوري هي

حماية الحركة الثورية وعدم الكشف للاعداء عن نقاط ضعفها، فانه يبدو ولأول وهلة ان هنالك تناقضا بين الامن الثوري والنقد والنقد الذاتي. وفي الحقيقة، ان التناقض وارد، اذا لم يلتزم النقد والنقد الذاتي بالشروط والضوابط الثورية، لانه عندما يتحول النقد الى تجريح وتشهير وتحطيم سواء داخل الاطر الثورية أو خارجها. فان مهمة الامن الثوري تصبح ضبط مثل هذه التصرفات والمسلكيات الخاطئة وتصبح مهمة الحركة الثورية نقد مثل هذه الظاهرة ومحاربتها. ولكن المغالاة في تأكيد التناقض بين الامن الثوري والنقد والنقد الذاتي تدفع البعض الى خنق النقد وكبت الآراء والحريات وممارسة الا رهاب الفكري على المناضلين في الحركة الثورية.

فتنتشر فيها ظواهر خطيرة لخنق النقد بحجة المحافظة على امن الثورة.

ومن هذه الظواهر ما يلي:

الظاهرة الاولى:

وهي وضع عيوب الحركة والمسلكيات الخاطئة لافرادها موضع الاسرار، التي يجب التستر عليها وكتمانها، بحجة ان الا عداء يستفيدون من الاطلاع عليها ومعرفتها. ان تصور البعض ان عملية النقد والنقد الذاتي تضر بالامن الثوري وتكشف عيوبنا ومسلكياتنا الخاطئة لاعدائنا، ومن ثم تساعدهم على التشكيك فينا جماهيريا. واضعافنا تنظيميا وضربنا عسكريا من خلال التعرف على نقاط الضعف. ان هذا المفهوم الخاطىء، للعلاقة بين الامن الثوري والنقد والنقد الذاتي، ينبع من عدم الفهم الواعي لمفهوم الاخطاء.. ومفهوم الاسرار.

ان احدى مهام الامن الثوري، هي المحافظة على الاسرار وكتمانها وعدم السماح بتسربها، وهذا يعني عدم كشفها لاحد خارج اطار التعامل بها، حتى ضمن الحركة الثورية الواحدة، من منطلق ان المعرفة يجب ان تكون على قدر الحاجة. ان معاملة الاخطاء كالاسرار يعني عدم كشفها، والتستر عليها، وهذا يعني استمرارها واستفحال شرورها.

انه ليس من شك ان العدو قد يستفيد من التعرف على عيوب الحركة الثورية واخطائها، ولكن استفادة العدو لا تقاس اذا ما قورنت باستفادة الثورة من تعرفها على اخطائها وعملها على تصحيحها. ناهيك عن الخطر الذي يلحق بالحركة الثورية ان هي تسترت على هذه الاخطاء.

الظاهرة الثانية:

وهي الخوف من النقد، بحجة انه يضعف من هيبة القيادة ويقلل من احترام الاعضاء والجماهير لها. ان هذه الظاهرة، التي تضع الافراد واخطاءهم فوق الهدف الذي وجد هؤلاء الافراد من اجله تعرض الا فراد والهدف الى الدمار. ان مهمة الا من الثوري هي استمرارية الثورة وتصعيدها ضمن خط الجماهير والنظرية الثورية. وان النقد الذي يوجه الى اشخاص القادة ومسلكياتهم خارج حدود الانضباط الثوري والشروط والضوابط الثورية هو ما يحاربه الامن. اما خنق النقد بحجة المحافظة على هيبة القادة، فان القيادة ان اخطأت ستجد من يبرر لها خطؤها أو يتستر عليه، أو يضرب بيد من حديد كل من يحاول التطاول على نقد المسلكيات الخاطئة للقيادة. وتكون النتيجة ان يتحول بعض القادة الى ذاتيين وفرديين يركبون رؤوسهم، ويعتقدون انهم معصومين من الخطأ مما قد يجرهم الى الانحراف عن الخط الثوري للحركة واعتبار نقد هذا الانحراف اضعافا لهيبة القيادة.

ان الا من الثوري لم يوجد لحماية الا فراد، وانما لحماية الحركة وخطها السياسي والتنظيمي والعسكري وارتباطها بخط الجماهير. وان النقد والنقد الذاتي هما المساعد الاكثر فعالية لحمأية امن الثورة من الانحراف عن هذه الخطوط.

ان النقد لاضعاف هيبة القيادة هو عمليا ضد امن الثورة، ولكن النقد لمساعدة القادة.. والمسؤولين هو تحقيق وتجسيد لامن الثورة.

الظاهرة الثالثة:

يعتقد البعض ان النقد والنقد الذاتي يدل على ضعف الحركة الثورية وتقليل من اهميتها النضالية ويعرضها لان تكون لقمة سائغة للحرب النفسية التي يشنها عليها اعداؤها، ويفقدها اعضاءها وكوادرها وجماهيرها. ان هذا الفهم يضع من جديد امن الثورة والنقد في كفتي التعارض. ولكن طبيعة البناء الثوري الحققي للحركة الملتزمة بنظرية ثورية صحيحة يؤكد دائما، أن ممارسة النقد والنقد الذاتي لا تدل مطلقا على ضعف الحركة الثورية، بل تؤكد قوتها وشجاعتها وتعمق ثقتها بنفسها وثقة الجماهير بها. (ان مسلك الحزب السياسي تجاه أخطائه هو احد المقاييس الاكثر اهمية والاكثر ضمانا للحكم فيما اذا كان هذا الحزب جديا، واذا كان يقوم حقا بواجباته تجاه طبقته والجماهير العاملة. ان يعترف الحزب صراحة بخطئه وان يكتشف السبب ويحلل الوضع الذي ادى له، ويعالج بانتباه الوسائل لاصلاح هذا الخطأ. هذه هي سمات الحزب الجدي. وهذا ما يدعي بالنسبة له القيام بواجباته وتربية وتعليم الطبقة ومن ثم الجماهير).